المحاضرة الرابعة عشر : اللغة العربية و العامية عند المستشرقين :

ركز المستشرقون على اللهجات العامية لجعلها تحل محل الفصحى، واهتموا بتاريخ "الفولكلور" لكل بلد، وهكذا صرنا نتحدث عن "فولكلور" سوري، وآخر لبناني، ومصري وعراقي وجزائري و... وعن أغنية وموسيقى سورية وأخرى مصرية... وهكذا.

لقد بدأت الدعوة إلى استخدام العامية الدارجة في سنة 1880م في مصر فقد نادى المستشرق الألماني ولهلم سبيتا (Wilhelm Spita) الذي كان مدير دار الكتب المصرية الى جعل العامية لغة التعليم بينما تبقى لغة الصلاة و العبادات الدينية اللغة الفصحى، كما نادى يعقوب صروف صاحب مجلة" المقتطف " إلى استبدال العامية بالفصحى في كتابة العلوم، كما ساند المستشرق الألماني فولرز K. Vollers فكرة استخدام العامية، وقد ادعى وليام ولكوكس William Willcoks ان اللغة العربية تعيق التقدم والاختراع عند المصريين لأنها لغة صعبة، ودعا بعض المستشرقين الى استخدام الحروف اللاتينية بدل العربية في دراسة العامية مثل ولهلم سبيتا Wilhelm Spitta والمستشرق الألماني كارل فولرز K.Vollers والانجليزي سلدن ولمور Seldon Wilmore.

ومن الذي دعوا الى العامية كل من ويلمور ووليم كوكس، وقد كتب ويلمور كتاب سماه "العربية المحكية في مصر" دعا فيه الى احلال العربية العامية محل الفصحى قائلا ان الفصحى قاصرة في ذاتها ناقصة في حروفها لا تصل الى قلوب الناشئين لا تتسع ان تتناول اليوم المطلوب وتؤدي المقصود، وانه لغة عصور وامم لم يشرق عليها نور العلم.

وقد تأثر بهذه الافكار بعض المفكرين العرب أمثال عبد العزيز فهمي الذي اقترح سنة 1943 على مجمع اللغة العربية في القاهرة استخدام الحرف اللاتيني بدلا من الحرف العربي، وكذلك فخري البارودي في دمشق وسعيد عقل في لبنان، ومنهم

ايضا سلامة موسى الذي تأثر بالدعوات الى استخدام العامية واستحسن الفكرة بل دعا اليها، ومن ما ننقله عنه يشيد بالمستشرق واليم ويلكوكس: "وقد دعانا واليم ويلكوكس الى هجرة الفصحى تماما واصطناع العامية، وقد ترجم هو نفسه الانجيل الى اللغة العامية فوفق فيه ، فحين يقرأها المصري يلذ له الاسلوب ويرى فيه جوا مألوفا يشم فيه البلدية، وهو في اعتقادي أوقع في النفس من الانجيل المترجم الى اللغة الفصحى"، وقد اعتبر ان العربية لغة اجنبية حيث يقول: الحقيقة ان اللغة العربية الادب المصري ولا تنهض به، واننا نتعلمها كما نتعلم لغة اجنبية، ولست اشك ان اللغة العامية تفضل اللغة الفصحى وتؤدي اغراضها الادبية أكثر منها.

وقد دعا بعض المفكرين العرب المتأثرين بأساتذتهم المستشرقين صراحة الى استبدال الحرف العربي باللاتينية والفصحى بالعامية ودعوا الى تشجيع الادب العربي باللغة العامية والنهوض به، ومن هؤلاء انيس فريحة حيث يقول عن العامية ويمتدحها لهذه اللهجة العربية الجديدة خصائص تجعلها مغايرة للفصحى، وفي القوة ذاتها الى جانب كونها مرنة طيعة تصلح ان تكون اللغة العربية الادبية، ومن اهم خصائصها اسقاط الاعراب، لذلك يجب ان يكون لها ادب ولتكتب باللاتينية وان يقبلها العرب، وكان يتمنى ان يرى حاكما عسكريا سياسيا يفرض العامية على العرب.

ومن جهة اخرى يرى "احمد لطفى السيد" ان هناك خصومة بين العامية والعربية، وان اقرب طريق للصلح بين اللغتين هو ان نتذرع الى احياء العربية باستعمال العامية.

وفي الواقع فأن الدعوة لاستخدام الحرف اللاتيني وترك الفصحى قد دعا اليه المستشرقان الفرنسيان ماسينيون، وبنيار رئيس البعثة العلمانية إلى الشرق، قد نصحا أصدقاءهما العرب بكتابة لغتهم بالحروف اللاتينية وترك الفصحى، فتلقفه البعض وجسده في الواقع عدد من المفكرين العرب ومنهم الكاتب اللبناني سعيد عقيل، الذي

اطلق تسمية اللغة اللبنانية على اللهجة العامية ودعا الى كتابتها باللاتينية، وبدأ في تجسيدها في كتبه حيث الف ديوان شعر سماه يارا شعر كتبه باللاتينية، وقد تأثر بدعوته تلك لاستخدام الحرف اللاتيني البعض فقد انشأت مسرحيات واشرطة في مصر باللغة العامية والحرف اللاتيني.

وقد دافع البعض عن افكار المستشرقين بخصوص قصور اللغة العربية ومن هؤلاء «إبراهيم اليازجي» الذي لم يساند مقترح ويلمور باستبدال العربية الفصحى بالعامية، لكنه اقر بقصور العربية وصعوبة دراستها ، حيث يقول أن قواعد اللغة العربية متشعبة وهو أمر يجعل من تحصيلها يستغرق زمناً طويلاً، الى جانب قصور ألفاظها عن أداء المعاني العلمية ومواكبة الحضارة العصرية.

وفي الجزائر كانت فرنسا تشجع تعليم اللغة الدراجة وتحارب الفصحى، وقد سعى بعض المستشرقين الفرنسيين لنشرها ومنهم "لويس برينيه" و"جوني فرعون" في الجزائر و"شيروبونو" في قسنطينة وماشويل في وهران وأصدر هؤلاء كتب مختلطة بين الفرنسية واللغة العامية، وأكدوا ان اللغة العربية الفصحى انما تستعمل في الصلاة والمساجد فقط تماما مثل اللاتينية التي تستعمل في الكنيسة، كما كانت فرنسا تمنع فريضة الحج على الجزائريين لكي لا يحتكوا بالشرق.

وفي الاخير يمكن القول انه برغم ان الكثير من المستشرقين كانوا يسعون للانتقاص من اللغة العربية ويدعون لاستخدام العامية، الا ان بعض المستشرقين كان يدافع عن الفصحى ويعتبر ها رمز للوحدة العربية ورمزا للحضارة الاسلامية، ومن هؤلاء: المستشرق الالماني يوهان فك الذي قال: إن الفصحى قدمت في جميع البلدان العربية والإسلامية رمزا لغويا لوحدة العالم الإسلامي في الثقافة والمدنية، اما بروكلمان فيقول إن المسلمون جميعاً يؤمنون بأن العربية هي وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلواتهم، وبهذا اكتسبت العربية مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى.